رسالة مدريد

الاستشراق الاسباني

١ ـ

اسبانيا · الفصائل الاممية · جثة فرنكو · الانتخابات · كان صديقي الفلسطيني يقودني في الشوارع بين الغجر واقبية النبيذ ، حيث مدريد القديمة · والغجري يجلس نصف ممدد وسط الساحة ، وحوله الفضوليون والعشاق وزجاجات النبيذ الفارغة · لا تستطيع ان تعتبر مدريد مستشفى · الاعلام في كل مكان · قالوا انها الانتخابات · لكني كنت ارى اعلام مصارعي الثيران ، وقد لبسوا ثياب همنغواي وهم يركضون بين الفرح والدهشة والموت ·

العرس الاسباني هو عرس الديمقراطية · لكنها ككل الديمقراطيات · غدا يفوز الوسط قال صديقي الفلسطيني · جاء الغد ، ومثل كل الديمقراطيات فاز الوسط · لكن « الباسيوناريا » كانت هناك · هذه المرأة التي تخرج من الكتب وتصبح شاشة تلفزيون· الح تجاعيد وجهها وفي حركة اليدين حيث الاصابع المليئة بالشرايين الزرقاء ، آثار الاحلام التي تتخاطفني وانا اقرأ القصص التي لا تنتهي عن الحرب الاهلية الاسبانية · لكنها هناك · شاشة صغيرة شبه مستطيلة ، ووجه هذه المرأة يمتلىء بدهشة الاطفال · واطفال مدريد ، الذين عاشوا الحرب الاهلية وهم يرون جثة تحكم الى ما لا نهاية ، يفاجئون بالكتب والتلفزيون والرايات ·

وبيكاسو مات · ومالرو مات · وهمنغواي اطلق رصاصة على رأسه قبل ان ينتهي الصيف الحار في داخله ·

سألت صديقي عن لوركا · قال لي اشياء لم اعد اذكرها · حدثني عن جراد البحر والاسماك والشعر الفلسطيني الذي يترجم الى الاسبانية · لكنني كنت متأكدا انني سأقابل لوركا · فمدريد ليست مستشفى · وبرشلونة ميناء للاسماك وليست نصف مستشفى ، كما حاولوا اقناعي · ولم اقتنع · لا يمكن ان تأتي الى اسبانيا دو ن ان ترى لوركا · من مدريد الى الاندلس ، لا يظهر لوركا الا ليختفي · ولا اراه · المدة الاخيرة التي